الاحداث، وتتلوّن بألوان مختلفة، لتتلاءم مع التقلبات التي تجرى في المنطقة. وذلك كله في محاولة لايجاد رابط بين الحاضر والماضي في عملية تكاملية، لادراك ابعاد التصورات الصهيونية حيال هذه المسألة.

وهكذا ترتسم، قبالتنا، تلك المحاور الرئيسة التي نرغب في طرقها. وهذا لا يعني ان هذه المجموعات، التي أشرنا اليها سابقاً، والتي سنجعلها أساساً للنقاش، تتميز بالفرادة المطلقة؛ بل نشهد، في بعض اللحظات، شذوذاً ينتقل من هذه المجموعة لينعكس على المفاهيم السائدة في مجموعة أخرى، ممّا يجعل الترابط الدقيق بين هذه الفئات قوياً، يصعب الفكاك منه في لحظة معيّنة؛ وكل ذلك في سبيل تحقيق غاية موحّدة تتلخص في بناء دولة يهودية تكتسب من أسباب المنعة والقوة ما يفوق الدول المجاورة في حدّه الادنى، والدول المعاصرة في حدّه الاقصى.

المأثور الديني والتاريخي

وجد ثيودور هرتسل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) مؤسس العقيدة الصهيونية الحديثة، التي أطلقها في مؤتمر بازل، في سويسرا، العام ١٨٩٧، ان العقيدة الصهيونية، التي استرخت لفترة طويلة من الزمن، يمكن استنهاضها، مرة أخرى، من خلال استثارة المشاعر الدينية لدى الطوائف اليهودية، وبعث الافكار القديمة التي تحتضنها الشريعة الموسوية، مستغلاً في ذلك التراكمات التاريخية التي أدّت الى معاناة متواصلة، والتي بلغت أوجها في نهاية القرن الماضي، بحيث شكّلت جملة من العوامل، استثمرها هرتسل في اطلاق دعوته بين الاوساط اليهودية. وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي واجهها، في بداية الامر، من قبل رجال الدين اليهود، الّا انه استطاع ان يلوذ بالديانة اليهودية، ويحتمي بظلالها، مستمدّاً منها الركائز الاساسية لهذه الدعوة الحديثة.

وعملية الانتقال من النشاط العقلي، الذي تبنّاه هرتسل في صورة اقامة دولة تجمع اليهود من الشتات، الى حظيرة الايمان يتطلب استيلاد النصوص الداعمة والمساندة لهذه الفكرة، بحيث تكتمل عملية الربط فيما بين الفكرة التي ناهضها العديد من رجالات الدين اليهود، باعتبارها مروقاً عن النواميس الشرعية والديانة اليهودية. وقد اجتهد هرتسل في استقطاب بعض رجالات الدين وضمّهم الى جانبه، في محاولة جادّة لخلق تيار ديني مناصر له، حيث شرع هؤلاء في استنباط الافكار المؤيدة لهذه الدعوة، وارجاعها الى أصول دينية. وفي ذلك اشارة الى ما ورد في التوراة والتلمود وأقوال الانبياء والحكماء، والشروحات المتعاقبة التي وصلت كميراث تاريخي للطوائف اليهودية.

وفي تعقّب الافكار الدينية، فقد شرع رجال الدين في تقميش النصوص التي تدعم مواقفهم، وأشاروا، بذلك، الى الوعود الالهية لابراهيم، ومن ثمّ لاسحق بن ابراهيم، وفي مرحلة تالية ليعقوب (اسرائيل) بن اسحق، ثمّ الى نصوص أخرى وجدت هنا، وهناك، في الاسفار اليهودية. وحسبنا ان نشير، هنا، الى ما ورد في التوراة حول «الوعد» الالهي لابراهيم وذرّيته الذي يدّعي اليهود، الآن، بأنه يشكّل الاصل المشترك لهم جميعاً، مخالفين بذلك الواقع الذي يثبته علم الانتروبولوجيا (علم الاجناس)، والذي يؤكد ان يهود الحاضر يتشكّلون من جملة متباينة من الاجناس، تنعدم الصلات المشتركة فيما بينها، في كثير من الاحيان.

فقد ورد ذكر «الوعد» في اشارات متعددة في السفر الأول من اسفار العهد القديم (التوراة)، وهو سفر التكوين؛ حيث ورد فيه: «واجتاز ابرام الى مكان شكيم، الى بلّوطة موره. وكان الكنعانيون،